

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

[235] ومع أن الحرب الكلامية والافتراءات الموجهة للرواة كانت ضروفاً فقد وثق الأئمة الفقهاء والمحدثون - أعظم التوثيق - الإمام جعفر الصادق، وشرفوا بالرواية عنه، ووقفت المذاهب الأربعة موقف الإجلال له، فكان ذلك إعلاناً من أهل العلم أن أئمة أهل البيت للجميع لا للشيعة وحدهم. وأن الحديث متى ثبت عنهم هو حديث جدهم صلى الله عليه وسلم: كان يوسف بن أبي يوسف يروى عن أبيه عن أبي حنيفة عن " جعفر ابن محمد " عن سعيد بن جبير عن ابن عمر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الوقت ذاته يروى عن أبيه عن أبي حنيفة عن اسحاق بن ثابت عن أبيه عن علي بن الحسين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن علي بن الحسين (زين العابدين) لم يرجده - واللقاء من شروط البخاري - ويروى يوسف عن أبيه عن أبي حنيفة عن " جعفر بن محمد " حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - مع أن الصادق حفيد زين العابدين - فهذا أبو حنيفة ومن روى عنهم - كمثل مالك وغيره - يروون عن أئمة أهل البيت، ويأخذون بحديثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنهم لم يلقوه أو لم يكن بينهم وبين الرسول صحابي. والكتب التي يقوم عليها الفقه الشيعي تروى كلها عن الإمام جعفر الصادق أو الأئمة المعصومين. يستوى في ذلك الكتب الأربعة الشهيرة وغيرها. في هذه الأضواء نستطيع أن نفهم انقسام العلم بانقسام مصادره. وانحسار هذا البحر من بحاره عن الجمهور، باقتصاره على الشيعة. ولاجرم كانت فيه كفاية لإنتاج دق الفقه وجله، بما فيه عن غزارة، وباعتماده على النقل والعقل معاً. وبإقبال الشيعة - شأن الأقليات جميعها - على تعميق علومها، وتقوية شعوبها. وساعدهم انفتاح الفكر واجتهاد الرأي في تطهير وسطهم العلمي والاجتماعي ممن ينتسبون، أو ينسبهم الخصوم، إليهم، من الغلاة في علي بن أبي طالب (1). ثم تميز العلمهم من علم المخالفين الذين يتولون غير الإمام جعفر

(1) كان وجود غلاة في الشيعة فرصة للمغرضين، إذ نسبوا عمل الغلاة إلى الشيعة كلهم. فأحدثوا بذلك أثراً كاذباً في أفهام الآخرين، بدعوى هم منها براء، مثل أن الإمام هو الإمام طهوراً واتحاداً. وهو غلو يبلغ الكفر. وأكثر المنسوبين للشيعة غلوا أتباع ابن سبأ وأبي الخطاب الأسدي الذين يؤلهون علياً والأئمة. وهؤلاء ليسوا مسلمين. (*) =